7/12/2012 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

صفة الصفوة

الجنيد بن محمد بن الجنيد (4)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين، وبعد:

نحن نقرأ في كتاب **صفة الصفوة** والكتاب يتحدث في سير أولياء هذه الأمة.

وهدف القراءة في هذا الكتاب أن يعلق قلبك بواحد منهم فتعمل عمله فتلحق برتبته.

مطلوب منا ما دمنا أحياء وبالفترة التي بقيت لنا من آجالنا، أن نجهد ما استطعنا لنحصل على رتبة الولاية.

من الصعب جداً أن تموت ولم تبلغ درجة الولاية.

ثلاثة أمور إذا أتقنتها دخلت في مداخل الأولياء:

1- ترك الحرام.

2- إتقان الفرائض.

3- أداء ما استطعت من النوافل.

والدليل قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، [يونس: 62-63].

ربما يقصر أحدنا في التقوى فالمطلوب منا أن نجتهد حتى نبقى محافظين على التقوى.

التقوى بأقصر تعريف لها: **فعل المأمورات وترك المنهيات**.

فعل المأمورات: أي أداء الفرائض، وما استطعت من النوافل.

ترك المنهيات: أي المحرمات.

فالتقوى صعبة، لكن ليست مستحيلة.

إن أحدنا لا يأخذ الشهادة الجامعية حتى يتعذب عذاباً شديداً، فلكي تكون من الأولياء فما المانع أن تتعب قليلاً أو أن تغالب نفسك الأمارة بالسوء؟!

الإخوة الذين يذهبون إلى الجامعة أو العمل، أحياناً يجدون برداً قارصاً حتى يتمنى أحدهم أن لا يقوم من السرير، لكن يقول: لدي فحص عملي وعلي أن أقوم، مع أن الفحص العملي ربما عليه عشرة علامات من المائة.

فإذا ضغطت على نفسك حصلت على رتبة عالية، فما المانع أن تضغط على نفسك وتقوم إلى صلاة الفجر؟ ما المانع أن تضغط على نفسك وتحافظ على بر والديك؟

أحياناً أحدنا أبوه يأمره أمراً من المباحات، كأن يذهب إلى المكان الفلاني مع أنه غير مقتنع بالذهاب ولا يرى أن هذا المكان صحيح، لكن لأن والده يريد فيضغط على نفسه ضغطاً، ويضع نفسه تحت أمر والده.

إذا قال لك أبوك: افعل بأمر مباح فافعله طاعة لوالدك.

بر الوالدين صعب وليس سهلاً فأحياناً أحدنا والدته تطلب منه طلباً يشعر بقلبه أنه غير مناسب، إلا أن أمه قالت له: افعل كذا فيفعل كما تأمره والدته.

إذا بررت والديك فالله ييسر لك كل الصعوبات، ولو قال أحدنا أنا لدي عقل فإذا أقنعتني أمي أسمع، وإن لم تقنعني فلن أستجيب، فلا مشكلة ولكن عليك التحمل إن كنت بطلاً وعاقلاً ما سيأتيك.

رعاية الزوجة والأولاد من الفروض التي يجب عليك أن تفعلها.

أحياناً زوجة أحدنا تزعجه إزعاجاً كبيراً، فهل يجوز له أن يحرمها من النفقة؟ لا.. لأن نفقتها واجبة عليه.

فلو كنت منزعجاً لكن مطلوب منك أن تؤمِّن لها طعامها وشرابها وكسوتها وتطبيبها.

ابنك نفقتك عليه واجبة فعليك أن تنفق عليه.

نحن نقرأ عن الإمام **الجنيد بن محمد بن الجنيد.**

ذكرت لكم بأن الإمام الجنيد يسمى عند العلماء بسيد الطائفتين، فقد كان خبيراً بعلوم الشريعة من حفظ القرآن، وتفسيره، وحفظ الحديث، وشروحه، والفقه...

وكان خبيراً بأمراض القلوب وعلاجها وتسليك المريدين للتقرب إلى الله تعالى.

وكان يعمل ببيع القماش أي أن الولاية لا تقتصر على إمام المسجد أو خطيبه.

هو أبو القاسم الخَزَّازْ القواريري، فكان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً يبيع الحرير.

ذكرنا في الدرس الماضي إذا كان الجنيد بائع حرير فيعني ذلك أن أكثر زبائنه من النساء مع أنه سيد الطائفتين، فمن الممكن أن يكون عملك بسوق الصالحية أو سوق الحميدية أو المول الفلاني وتكون من الأولياء.

ومن الممكن أن تكون موظفاً بفندق خمس نجوم، وتكون من الأولياء، فالعبرة ليس ماذا تعمل ما دمت تعمل بالحلال، ولكن المهم أن تنضبط بالأمور الثلاثة الماضية التي سلفت.

يقول الإمام الجنيد: (**احذر أن تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً**).

معنى كلام الجنيد: إن الله من لطفه ورحمته وستره فهو يستر عيوبك ولا يفضحك، وإذا ما عملت أمراً صغيراً جيداً تجد الناس يتكلمون فيه؛ لأن الله ستار ولطيف ينشر أخبارك الجميلة بين الناس، فعليك الحياء من الله، وإذا ما خلوت فلا تخطئ معه وتبارزه بالمعاصي.

سيدنا علي رضي الله عنه كان يخاطب الله فيقول: (**إلهي كم من ثناء جميل لست أهلاً له بين العباد نشرته**)).

يا رب هناك أمور ليست فِيَّ من الصلاح والناس تتكلم عني بأني جيد، وأنا لست بصالح.

1- فاحذر أن تخالف ربك في الخلوات وقد قالوا: **ذنوب الخلوات أصل البليات**.

2- احذر أن تغتر بنفسك: فإذا مدحك الناس وقالوا: فلان ملاح وجيد ومحسن كريم وصالح من الصالحين فلا تفرح كثيراً وتصدق فهناك أمور سترها الله عنهم ولكن عليك أن تراجع نفسك ماذا فعلت؛ لأجل أن تقوم بكف التوازن.

عن الأصمعي قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا مُدِحَ قال: (**اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون**)، [العسكري في المواعظ].

وكان الإمام الجنيد يقول: (**المروءة احتمال زلل الإخوان**).

يا جماعة ليس من الممكن أن نعيش مع بعضنا مجتمعين سواء داخل أسرة أو محل أو داخل مسجد أو داخل حي، إلا ويجب عليك أن تتحمل، فعليك أن تسامحني وتتحملني وتساعدني فأنت أحياناً تخطئ، فعلي أن أسامحك وأساعدك، وأكون معك، أما أن يريد الزوج من زوجته أن لا تخطئ أبداً، فهذا لا يمكن، أو أن تريد الزوجة من زوجها أن لا يخطئ أبداً فأيضاً لا يمكن.

أتتني زوجة تشكي زوجها وكلمتني بقصص ولما انتهت قلت لها: انتهيت؟ قالت: أجل، قلت لها: قولي لي أمراً جيداً في زوجك، قالت: ليس هناك أمر جيد، قلت: ولا أي شيء؟! قالت: لا.. قلت لها: إذاً كيف قبلت به؟! فقالت لي: كنت بلهاء، قلت لها: معك حق.

الآن كل إنسان فيه أمور جيدة وأمور سيئة، فعلينا أن نساعد بعضنا البعض، والرجل الجيد الذي يستطيع أن يحول سوء زوجته إلى جودة، وبالعكس أيضاً.

في نظام الإدارة الياباني لا يفصلون موظفاً أبداً فلديهم أمان وظيفي، فإذا وضعت موظفاً في شركتك فلا يسمح لك أن تفصله وإذا أخطأ ينظر عن سبب خطئه، فمثلاً: خطؤه كان بعلاقته السيئة مع الزبائن، فيحاولون أن يصلحوا خطأه ويعيدوه، فإذا أخطأ نقلوه لقسم آخر، لكن لا يستغنون عن الموظف؛ لذلك يقولون: الموظف الياباني يعطي كل طاقته للعمل، وهذا لأنه يشعر بأمان، وليس من حق المدير أن يفصل الموظف إذا تضايق منه.

أما الموظف في دول أخرى فتراه خائفاً لأنه يشعر بأنه ربما في أي لحظة ممكن أن يستغنوا عنه.

إذا كانت زوجتك غير جيدة فحاول أن تحسنها، وحاولي أن تحسنيه ومثل ذلك بتعاملك مع شريكك، أخيك، ابنك...

في المسجد ربما يرى أخ أن هناك نقص أو عيب فحاول أنت أن ترممه.

في أحد المساجد أتاني رجل بعد الدرس قال لي: أستاذ هذا المصباح من شهرين وأنا أراه لا يعمل فقل لخادم المسجد أن يبدله، فقلت له: ولماذا لا تشتري مصباحاً وتأتي لتضعه؟ فهو يظن أن من واجبكم الإصلاح وما عليه إلا النظر.

في الشام يقولون: **يتشاجر مع ذباب وجهه**، أي لا يتحمل أحد وأخلاقه الاجتماعية صفر.

ذكر عن الحطيئة –وهو شاعر هجاء– أن سيدنا عمراً أجلسه على كرسي، وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه، فضج وقال: إني والله يا أمير المؤمنين، قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال: ما الذي قلت؟ قال: قلت:

أبت شفتاي اليومَ إلاّ تَكَلُّماً ... بسوءٍ فلا أدري لمن أنا قائلهُ

أرى ليَ وجهاً قبّحَ الله خلقهُ ... فقُبّحَ من وجهٍ وقُبحَ حاملهُ

ثم خلى سيدنا عمر سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها أعراض المسلمين.

سأل رجل الجنيد فقال: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: (**توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب**).

(**توبة تحل الإصرار**).

هذا الأمر صعب فكلنا نذنب لأننا عباد أما الأنبياء فهم المعصومون الوحيدون، لكن المهم أن لا تصر على الذنب.

ترى شاباً خيراً وصالحاً ويحب الله ورسوله، لكن لا أعلم لماذا هو عالق بفتاة لا يتركها ولا يخطبها، يقول: لا أريد الزواج الآن.

فهذا إصرار على الحرام فإذا لم تخرج الآن وتحذف كل الرسائل التي جاءتك منها، وتحذف رقمها فأنت في إصرار، وتقول لرب العالمين: أنا أريد أن أبق أعصي الله بهذا العمل.

تاجر إلى الآن يأخذ الربا في الدين، نقول له هذا حرام، ولا يزال يأخذ الربا.

هناك شخص أعرفه كان يعمل بالربا صدقوا أنه الآن يتسول.

رجل يشغل ماله برقم ثابت، هذا حرام ولا يجوز ذلك.

لا مشكلة أن تأخذ كل شهر رقم ثابت بشرط أن يكون هناك بآخر السنة مصافاة.

(**وخوف يزيل الغرة**).

لا تكن مغروراً برب العالمين، تقول لبعض الناس: هناك حساب وعقاب، فيقول: الله غفور رحيم الله سيسامحنا كلنا ويدخلنا الجنة، ماذا سيفعل الله بعذابنا؟

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**، [الشعراء: 214]، **((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا))**، [البخاري].

(**ورجاء مزج إلى طريق الخيرات**).

أي يرجو من رحمة الله لكن من هذا الرجاء تراه له همة لفعل الخيرات.

(**ومراقبة الله في خواطر القلوب**).

في داخل الطريق تحتاج لخوف ورجاء، فأحياناً تخاف الله فتمتنع عما نهى، وأحياناً ترجو رحمته فت قبل على ما أمر.

فعليك بمراقبة الله في خواطر القلوب، في بيعك وشرائك، وأخذك وعطائك، وحبك وكرهك...

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والحمد لله رب العالمين.